

ضرورة التجارب للقدّيس مقاريوس الكبير

لا يستطيع احد أن يدخل الحياة (مت 18: 8) إلا بعد تجارب عديدة وجهاد طويل وإهانات كثيرة ، وهكذا ينبغي أن تتهدّب نفوسنا كي ندخل إلى الملكوت (مت 19: 24) إذ أنه بدون تهذيب لن يدخل احد . فها ذي ماله صلبه جدا، يأخذها الصانع ويضعها في النار ثم يخرجها ، ويطرقها بالمطرقة ، ثم يضعها ثانية في النار حتى تصير لينه ويشكلها إلى أناء ثمين ، نافع لخدمه السيد . هكذا أيضا الشمع يكون شديد الصلابة وهو بارد ولكن عند وضعه في النار يبدأ في السيولة ويصير لنا، حينئذ يمكن أن يقبل التشكيل وصوره الختم الكاملة.

كذلك أيضا النفس تحتاج إلى تشكل تام، لذا تدخل النار دائما وتوضع في التجربة حتى تستطيع أن تقبل الصورة الكاملة النمو التي للمسيح والختم السمائي والفخاري يضعه الأنية الخزفية في النار (2 تي 2: 20) والماء كما يختبرها ، فيخرج بعضها صالحا للاستعمال والبعض الآخر يتفتت ويتحطم . هكذا الذين يواجهون التجارب ويخضعون لمجاذبات القتال ، فالأمر واحد من اثنين : أما يقهرون ويهلكون – وأما يحققون النصر فيسقطون ويقومون ، ويضربون ويعودون حتى ينالوا الجعالة . وهكذا يظلون ثابتين غالبين.. كذلك تكون النفس الخاضعة للشد والجذب، فأحيانا تسقط وأحيانا تقوم أنها تضرب ثم تعود حتى تحصل على الجعالة

وفي عالمنا المنظور يذهب أطفال عديدين إلى المدرسة فيتخرج بعضهم غير مهذبين، وآخرون يمثلون في المسرح وآخرون فاجرين ، وآخريّن صيادين . وآخرون أدباء أو حرفيين. وهكذا أيضا في الكنائس أخوة كثيرون معا وبمحض إرادتهم يدخل البعض إلى الحياة بينما لا يدخل آخرون .

والنبات طالما هو صغير يظل ضعيفا ولا يستطيع أن يتعمق في التربة . فإذا ساد مناخ شديد الجفاف، فإنه يجف، وأيضا إن صادفته رياح تهزه بعنف وتضربه . ولكن إن كان عميق الجذور في التربّي فلا الحراري ولا البروده تستطيع أن تؤذيه - ويظل صامدا . وبالمثل فالمؤمنين هم أيضا أطفال ، ومنذ نعومه أظفارهم يحتاجون إلى تقويم كامل لأن تلاميذ ملكوت السموات (من 13 : 52) يحتاجون دائما إلى مرشدين يرشدونهم في الطريق حتى يصيروا ثابتين في النعمة غير متزعزعين